أدوات الترابط النصيّ
"الكرلسي الشرسة" للقاص محمد مفلاح أنموذجا

الاستاذ تحريشي عبد الحفيظ و الاستاذ بن احسن عبد الرحمان قسم ألآداب جامعة بشار

الملخص:

إن الترابط بين الأجزاء المكوّنة للنص يحقق للنص استمرارية من منظور لسانيات النص، حيث تتجسد هذه الاستمرارية في ظاهره، ويقصد بظاهر النص الأحداث اللغوية المنطوقة أو المسموعة أو المكتوبة أو المرئية في تعاقبها الزمني، فينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية ولكنها لا تشكل نصا إلا إذا ما تحقق لها من وسائل التماسك النصيّ ما يجعل النص محافظا على كينونته واستمرار يته.

Le résumé :

la concordance entre les éléments du texte lui donne une continuité au point de vue du texte linguistique, cette continuité se réfère au phénomène du texte et les événements linguistiques parlé et écrit, vidéo et audio cela, organisent les séquences du texte selon des structures grammaticales, mais ne constituent pas une disposition sauf si elles ont atteint l'objectif de la cohésion textuel en préservant l'ensemble et l'essentiel.

يعني الاتساق العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى، وعليه فالسبك يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وأيضا بين العلاقات بين جمل النص وبين فقراته، بل بين النصوص المكونة للكتاب، فالاتساق يهتم بتعالق القضايا وترابطها ومنه تحدد النصية.

1.الكاتب والروائي مُحَمَّد مفلاح

مُحَمَّد مفلاح من مواليد 28 ديسمبر 1953، قاص وروائي وباحث في التراث انتخب عضوا بالأمانة الوطنية لإتحاد الكتّاب الجزائريين (1998-2001) وعضوا بالمجلس الوطني لهذا الإتحاد عام 2001، و انتخب بالمجلس الشعبي الوطني (نائبا) عام 1997، وعام 2002، كما ساهم في العديد من الجرائد والمجلاّت بمقالاته في الأدب عن التراث الثقافي لمنطقة غليزان، وهو اليوم متقاعد يعيش بمدينته غليزان ومتفرغ للكتابة الإبداعية والبحث التاريخ, من مؤلفات مُحَمَّد مفلاح القاص والروائي والباحث في التراث الجزائري:

أولا:9 روايات:

-الانفجار، سنة 1983 -هموم الزمن الفلاقي، سنة 1984 - بيت الحمراء، سنة 1986

-زمن العشق والأخطار، سنة 1986 -الانهيار، سنة 1986 -خيرة والجبال، سنة 1988

-الكافية والوشام، سنة 2002 -الوساوس الغريبة، سنة 2005-عائلة من فخار سنة 2008.

ثانيا: 3 مجاميع قصصية:

-السائق، سنة 1983 -أسرار المدينة، سنة 1991 -الكراسي الشاغرة، سنة 2009

ثالثا:4 كتب في التاريخ والتراجم:

-شهادة نقابي، سنة 2005 -سيدي الأزرق بلحاج، سنة 2005 -أعلام من منطقة غليزان، سنة 2006 - شعراء الملحون بمنطقة غليزان، سنة 2008م

رابعا: قصص للأطفال:

- معطف القط مينوش، سنة1990 -مغامرات النملة كحيلة، سنة 1991 -وصية الشيخ مسعود، سنة

1992

2. تقديم المجموعة القصصية:

صدرت لمحمد مفلاح القاص والروائي والباحث في التراث الجزائري مجموعة عن منشورات مديرية الثقافة لولاية معسكر، بعنوان "الكراسي الشرسة"، مجموعة تحتوي على 15 قصة قصيرة نشرت سابقا في بعض الصحف اليومية الجزائرية:

"مقهى السعادة، هذا الشيء، الباخرة، الكراسي الشرسة، معركة حي البطحاء، أصابعي القذرة، حكاية الرجل العمومي، القطار رقم 1094, الثرى، كابوس أم الخير، البطال، الحافلة الصفراء، السيد المحترم، زيارة غير مبرمجة، الحالم، هي عناوين قصص هذه المجموعة، التي كان المقهى، الشارع، أماكن العمل، مسرحا لها."(1)

نقل مفلاح في هذه المجموعة واقع المواطن البسيط في يومياته بكل تجلياتها وأبعادها، في واقع تراجيدي صوّره من كل الأبعاد بصبغة سياسية طاغية على كل القصص، حيث تعتبر هذه المجموعة صورة حية و تأريخية ليوميات الجزائريين أثناء العشرية السوداء، بآلامها وآمالها، وككل كتابات مفلاح، جاءت مجموعته هذه بأسلوب روائي واقعي تشويقي، معتمدا في ذلك على سرد الأحداث بلغة شفافة تهيمن عليها الإحالة المرجعية على الجزائر وأوضاعها الاجتماعية والسياسية والنقابية، جاعلا من الخلفية التاريخية والاجتماعية والسياسية والنقابية مداخل لخلق فضاءات روائية ذات نفس واقعي واجتماعي.(2)

3. أدوات التماسك النصيّ في"الكراسي الشرسة"

يُعرّف النصيّون التماسك النصيّ بأنّه العلاقات أو الأدوات الشكليّة والدلاليّة التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية ، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى (3)، وأهم أدوات التماسك النصيّ : الأدوات الدلاليّة كالسياق والإحالة الخارجية ، والأدوات الشكليّة كالروابط النحوية والأسلوبيّة(4) .

أ.الاتّساقُ (Cohésion) :

صفة من صفات النّصّ المتماسك من حيثُ الصّياغة، أو مظهرٌ من مظاهر "نحويّة النّصّ"(5)، **وهو التماسك الحاصل بين المفرداتَ والجمل المشَكّلة للنصّ، وهذا التماسك يتأتّى من خلال وسائل لغويّة تصل بين العناصر المشكلة للنص، و تحقق الاتساق التركيبي والدلالي بين عناصر النص.**

يعني الاتساق العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية ، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى(6)، وعليه فالسبك يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة ، وأيضا بين العلاقات بين جمل النص وبين فقراته ، بل بين النصوص المكونة للكتاب ، فالاتساق يهتم بتعالق وترابط القضايا ومنه تحدد النصية(Textualité) ، وهو يتأتّى من خلال وسائل لغويّة تصل بين العناصر المشكلة للنص، بحيث تساهم في وحدة النص الشاملة (7) ، وتؤوله لكي يُعدّ نصاً ، فإن انعدمت أو ضعفت افتقر الملفوظ إلى النصّية ، أو ضعفت نصيته ، ومن ثمّ افتقر إلى الاتساق.(8)

1- الإحالات :

وتتمثل في عودة بعض عناصر الملفوظ إلى عناصر لفظيّة أخرى ، نقدرها داخل النص أو في المقام (خارجه) ، انطلاقاً من تصوّر مفاده : أنّ العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل ، إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها (9) ، **فالإحالة هي بناء جديد للنص (10).**

وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسين هما : الإحالة المقامية والإحالة النصّية ، وتتفرع الإحالة النصية إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية (11) ، وهي حسب **هاليداي ورقية حسن** الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة (12)

.فالإحالة المقامية تساهم في خلق النص ، لأنها تربط اللغة بسياق المقام ، إلا أنّها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر ، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعّال في اتساق النص (13) ، وإذا تأملنا النص سنجده حافلاً بهذا النوع من الإحالة ، حيث تطالعنا الإحالة المقامية في المثال الأتي :" ماذا جرى لهم ؟ هل جنوا؟"ص 6(14)

إذ يمثل الضمير المتصل العائد على الغائبين إحالة مقامية ، فعلى من يعود هذا الضمير؟ ولو أمعنا النظر في النصّ كلّه لوجدنا أنّ الإحالة المقامية تتردّدُ كثيرا، وتختلف من قصة إلي أخرى، فهي في (مقهى السعادة) تحيل إلي الزبائن،وفي (هذا الشيء) إلي همومه ووساوسه،وفي(الباخرة) إلي المسافرين،وهكذا نلاحظ اختلاف الإحالة وتنوعها من قصة إلي أخرى، وتنوع المحيل (الضمير) من المفرد إلي المثنى إلي الجمع. أما الإحالة النصيّة فقد أحدثت ارتباطا داخل النص ، ذلك لوجود مسافة قريبة ُ بين المحال والمحال إليه ، ومن النماذج الدالّة في هذا الحقل قوله :

" خشي أن تتحول حيرته إلي هزيمته أكيدة أمام هؤلاء الزبائن، إنهم لا يبالون بمعاناته ولا بمقهاه الذي ظل يحتضن لسنوات طويلة أحلامهم وأوهامهم ومخاوفهم ...وسخطهم على كل شيء "ص9 (15)، فضمائر الغيبة كثيرة لها المحال إليه ذاته (الزبائن).

-أسماء الإشارة : وهي الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق الإحالية ، ويذهب هاليداي ورقية حسن ، إلى أنّ هناك عدّة إمكانيات لتصنيفها ، إمّا وفق الظرفية ، الزمان (الآن ، غداً) والمكان (هنا ، هناك) ، أو وفق البعد (ذاك ، تلك) ، والقرب (هذا ، هذه) (16) . وتقوم أسماء الإشارة – بوصفها أداة اتّساق – بالربط القبلي أو البعدي ، وهي بذلك تساهم في اتّساق النص وتماسكه (17)

وإذا بحثنا في حقل أسماء الإشارة سنجد أنها لم تكن حاضرةً بقوة في النص، لكن مع ذلاك وظفت حسبما تقتضيه كل قصة بما يسهم في اتساق النص و ترابطه. "كنت هنا ...لماذا لم تمنعيهم من ذلك" ص84(18)حيث يحيل اسم الإشارة(هنا) قبلياً ال المحطة،و يحيل اسم الإشارة(ذلك).إلي سرقة المحرك

2- الاستبدال :

الاستبدال عملية تتمّ داخل النص ، وتقوم على تعويض عنصر في النص بعنصرٍ آخر (19) ، و"علاقة الاستبدال تمثّل شكلاً من العلاقات النصّية القبليّة ؛ لأنّ العنصر المتأخر يأتي بديلاً لعنصرٍ متقدّم ، ما يجعلها قادرةً على تحقيق الاتّساق في النص حين تربط بين عنصرين متباعدين " (20) ، ومن الأمثلة الدالّةً على الاستدلال :

ثم لامني قائلا: إنها مريضة..ألا ترى ذلك؟ ص59(21)

يتضح من المثال أن هناك استبدال قولي، حيث استبدل الكاتب الجملة (إنها مريضة) بـ (ذلك)، فأحدث اتساقا وارتباطا بين العنصرين

3- الحذف : يتم الحذف عندما تكون هناك قرئن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره ، وفي نحو النص يجب أن تراعى القرائن المعنوية و المقامية ، لأن السياق والمقام من أساسيات الحذف ، حيث تكون الجمل المحذوفة أساسا للربط بين أجزاء النص من خلال المحتوى الدلالي وتتنوع أنواع الحذف عند هاليداي ورقية حسن (22) والحذف كعلاقة اتّساق لا يختلف عن الاستبدال إلا بكونه استبدالاً بالصفر ، أي أنّ علاقة الاستبدال تترك أثراً ، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال ، بينما علاقة الحذف لا تترك أثراً (23) ، " مما يدفع المتلقي بالنهوض إلى مهمّة التقدير ، ممّا يحفّزُ مهارة التأويل التي يمكن أن نعدّها مهارة انسجام أولاً " (24) .

ومن الأمثلة الدالّة على الحذف قول الكاتب : "ثم اجابني بسرعة: السابعة ثم عاد إلي أوراقه الإدارية المكدسة على ركبتيه..و لما كررت السؤال على رفيقه ،صاح في الكهل بحنق :ألا تفهم العربية ؟ السابعة هي السابعة. "ص61 (25)

يتضح من القول أن هناك كلام محذوف بعد(ركبتيه)، والأكيد إن المتلقي لن يجد صعوبة في معرفة ما هو،فقد يؤوله ب(..أخد يتفحصها..،أو..ينقل منها بعض الملاحظات..)، كما نلمح حذف في عبارة (السابعة هي السابعة).

4-الوصل: يعدّ الوصل علاقة اتّساق أساسية في النص، فالوصلُ يحدّد الطريقة التي تترابط بها الجملة السابقة مع الجملة اللاحقة بشكلٍ منظّم داخل النصّ، وذلك من خلال الأدوات السابقة، بحيث تُدرك متواليات الجمل كوحدة متماسكة (26)، وأدواته متعدّدة منها: أو، و، أعني ، مثلاً ، نحو ، أم ، لكن ، لذا ، لهذا ، لأنّ ، وقد كان لأدوات الوصل حضورها في النص ، وساهمت إلى حدٍّ ما في إحداث شيءٍ

5-الاتّساق المعجمي :

يتحقق الاتساق المعجمي بين المفردات أو الألفاظ عبر ظاهرتين لغويتين : التكرار (Récurrence) ،المصاحبة / التضام (Collocation) . (27)

أمّا التكرير فهو شكلٌ من أشكال الاتّساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجميّ ، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف (28) ، يعرف هاليداي ورقية حسن التكرار بأنه" أية حالة تكرار يمكن أن تكون الكلمة نفسها أو مرادف أو شبه مرادف ، كلمة عامة أو اسما عاما" (29)، وهو يمثّل أداةً واسعة الانتشار في النص ، ومن الأمثلة الدالّة على التكرار قول الكاتب:

* وحوش... وحوش...ص9(30)
* لم ينتحر ... لم ينتحر ...ص22(31)
* ابتعدوا... ابتعدوا...ص23(32)
* لا شيء... لا شيء...ص40(33)

والتضام / المصاحبة (Collocation) : حسب هاليداي ثمة أزواج من الألفاظ متصاحبة دوما ، فذكر أحدها يستدعي ذكر الآخر ، أي تتشكل العلاقة الرابطة لكلمة ما في لغة بكلمات أخرى معينة وذكرها هاليداي ورقية حسن بعضها (34) وهي :

1- التباين : له درجات عديدة ، قد يكون اللفظان:

متضادين : ولد / بنت

متخالفين : أحب / أكره

متعاكسين :أمر / طاع

2 - الدخول في سلسلة مرتبة:الثلاثاء / الأربعاء ، اللواء / العميد.

3- الكل للجزء :اليد / الإنسان ، الإصبع / اليد ...

4- الجزء للجزء :الأنف / الرئة

5- الاندراج في صنف عام:الأمعاء / المعدة تشملها كلمة هضم

ومن الأمثلة الدالّة على التكرار قول الكاتب:

" توقف مرارا أمام المقاهي الصاخبة والمحلات الفارغة " ص29(35)

"ما زلنا واقفين... ولن ننحني... " ص34(36)

ب. الانسجام (Cohérence):

الانسجام في اللغة هو ضم الشيء إلى الشيء، و في الاصطلاح هو مجموع الآليات/ العمليات الظاهرة والخفية التي

تجعل قارئ خطاب ما قادرا على فهمه وتأويله، وهناك مجموعة من المبادئ والعمليات التي تساهم في تحقيق الانسجام والمضامين، أو هو مظهر من مظاهر "مقبولية النّصّ "، فهو تماسُك النّصّ وانسجامُه من حيث نقل المعلومات(37)

أمّا آليات الانسجام التي سوف نستخدمها فهي: البنية الكليّة، والمعرفة الخلفيّة .

أ-البنية الكلّية : " يرى فان ديك أنّ لكلّ خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب ، ويُقصد بالبنية الكلّية أن يكون للخطاب جامعٌ دلاليّ ، وقضيّة موضوعيّة يتمحور النصّ حولها ، ويحاول تقديمها بأدوات متعدّدة .

ومن الأدوات المستخدمة في تحديد البنية الكليّة ما يلي :

العنوان : يوظف العنوان في ثلاثة أمور هي : التحديد والإيحاء ومنح النص الأكبر قيمته ، ويذهب (براون ويول) إلى أنّ عنوان أي خطاب لا يساوي موضوع ذلك الخطاب ، بل هو أحد التعبيرات الممكنة عنه (38) ، وهما يقترحان " أنّ أفضل طريقة لوصف وظيفة عنوان خطاب ما هي كونه أداة إبراز لها قوّة خاصّة " (39) ، ويعدّانه كذلك لأنّه يثير لدى القارئ توقعات قويّة حول ما يمكن أن يكّونه موضوع الخطاب(40) .

حينما ننظر في العنوان(مقهى السعادة) ، نجده يتألف من كلمتين ، تحملُ في طيّها مفارقةً غريبةً ، فهي عبارة تحمل دلالات عديدة مختلفة أحيانا ومتقاربة أحيانا أخرى ، فهي كأمة ساحرة و مغرية تشير إلى عهد جديد بعد أحداث 1988 حسب اعتقاد صاحب المقهى. يقول المؤلف: "لقد اختار للمقهى اسما جديدا وهو "السعادة" واستغنى عن كلمة "الاشتراكية" التي لم تعد متداولة في التلفزة و الاداعة والصحف الحكومية بل أصبحت في المحلة الجديدة محل خلافات و صراعات حادة بين تيارات السياسية المتناحرة في المدينة الهادئة." ص5(41)

فجاء الأسلوب في ثنايا النص مترابطا دلاليا بما يخدم الموضوع المحوري المتعلق بالأحداث التي ميزت فترة العشرية السوداء.

ب-المعرفة الخلفيّة : يستعين المستمع أو القارئ حينما يواجه خطاباً ما بمعرفته الخلفيّة (42) ، ويُقصد بها ثقافة المتلقّي ، وأدواته المعرفيّة ، وما لديه من قدرة على التصوّر الذهني للأشياء (43) ، هذه المعلومات العامّة عن العالم هي أساس فهمنا للخطاب فحسب ، بل ربّما لكلِّ جوانب خبراتنا الحياتيّة ، والكاتب حينما يصوغ نصّه يستحضر مكونات نصّه من خلفياته المعرفية ، وهو بالتالي يلتقي مع المتلقين وما لديهم من أُطرٍ معرفية تُسهم في خلق مشترك معرفي بينهما (44) ، وهذا المشترك المعرفي يمثّل ركيزة أساسية يستند إليها المتلقّي في محاولة فهم الخطاب الذي يواجهه وتأويله

وعند اطلاعنا على هذا النص نجد أنّ مُحَمَّد مفلاح القاص والروائي ، قد صبغه بثقافته ، إذْ وظّف اطلاعه على الأحداث المتوالية بعد 1988 وتحديدا في مرحلة العشرية السوداء بما يخدم الرؤيا التي سعى إلى نقلها إلينا ، وقد استثمر رمزية الكراسي وما تحيل إليه من دلالات معنوية وحسية لدى القارئ ووظفها لتمرير رسالته ،وللتعبير عن رؤاه والتي يتشارك فيها مع المرسل إليه ، فقد أشارت مجموعته الفصصية (مقهى السعادة، هذا الشيء، الباخرة، الكراسي الشرسة، معركة حي البطحاء، أصابعي القذرة، حكاية الرجل العمومي، القطار رقم 1094 الثرى، كابوس أم الخير، البطال، الحافلة الصفراء، السيد المحترم، زيارة غير مبرمجة، الحالم) إلي الكراسي إما بشكل صريح آو بشكل ضمني.وما يستدعي من تحليلات و تأويلات من قبل القارئ لفهم الخطاب.

يقول القاص : "لقد مضى ذلك الزمن الذي جمع فيه ثروة اشترى بها قطعة ارض بنى عليها بيته الواسع و محله التجاري..واقبل زمن لم يعد فيه للحياة أي معنى." ص37(45)

وهذا ينسجم تماماً مع الخلفية التاريخية والاجتماعية والسياسية والنقابية التي تؤطر الفضاءات الروائية ذات النفس الواقعي والاجتماعي.

الإحالات :

1-جريدة الفجر، يومية جزائرية مستقلة، عدد: 17 - 10 - 2009

2-المرجع نفسه.

3- صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، دار فبة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص:96

4- المصدر نفسه ص: 120

5- Beaugrande, 1979, Texte and sentence in discourse planing, p :490

6- David Carter(1987),Interpreting anaphrsing natural language texts, Ellis Horwood ,limited England,p32.

وينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 96 حيث يقابل مصطلح (Cahesion) بمصطلح (التماسك)

7- مُحَمَّد خطابي، لسانيات النص، ط1 ، المركز الثقافي العربي، بيروت،1991، ص:13

8- سامح رواشدة قصيدة الوقت لأدونيس، ثنائية الاتساق والانسجام ، مجلّة دراسات الجامعة الأردنية ، مج3 ، ع3 ،الأردن، 2003 ، ص:517

9- نفسه، ص:517

10- سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة ، مكتبة الأدب ، 2003، ص: 104

11-مُحَمَّد خطابي، ص: 17

12- نفسه، ص: 17

13- نفسه، ص: 18

14-مُحَمَّد مفلاح ،الكراسي الشرسة،قصص، منشورات مديرية الثقافة لولاية معسكر،دار الأديب للنشر و التوزيع ، ص:6

15-- نفسه ، ص:15

16-مُحَمَّد خطابي ، ص : 19

17-نفسه، ص : 19

18- مُحَمَّد مفلاح، ص:84

19-مُحَمَّد خطابي، ص : 19

20 سامح رواشدة قصيدة الوقت لأدونيس، ثنائية الاتساق والانسجام، مرجع سابق، ص : 520

21- مُحَمَّد مفلاح ،ص:59

22- Helliday,and R.Hassan ,cohesion in english, longman, london,1976,p142.

23- مُحَمَّد خطابي، ص: 21

24-سامح الرواشدة، ص: 520

25-مُحَمَّد مفلاح،ص:61

26-مُحَمَّد خطابي، ص: 24

27-جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 79

28- سامح الرواشدة، ص: 522

29- مُحَمَّد خطابي، لسانيات النص، ص:237 .

30-مُحَمَّد مفلاح، ص:9

31- مُحَمَّد مفلاح، ص:22

32-مُحَمَّد مفلاح، ص:23

33-مُحَمَّد مفلاح، ص:40

34-جميل عبد المجيد،البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998، ص 107.

35-مُحَمَّد مفلاح، ص:39

36-مُحَمَّد مفلاح، ص:34

37- Beaugrande, Texte and sentence in discourse, p :490

38- مُحَمَّد خطابي، ص : 60

39-سامح الرواشدة، قصيدة الوقت ، ص : 523

40- نفسه ، ص : 525

41- مُحَمَّد مفلاح ،ص:5

42- -سامح الرواشدة، قصيدة الوقت ، ص : 525

43- براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة: مُحَمَّد لطفي الزليطي ومنير التركي، جامعة الملك سعود، الرياض،1997، ص : 279

44- سامح الرواشدة، قصيدة الوقت، ص : 525

45- مُحَمَّد مفلاح ،ص:42

ISSN 2170-0796